E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

# الأمير عبد القادر أسير في أمبواز

1848 - 1852م

Emir Abdelkader captive in Amboise (1848-1852)

**محمد غربي (*)**

**جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر**

gherbi2@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: **18** /2020/12 تاريخ القبول: 2020/12/28 تاريخ النشر: 2021/05/30

**الملخص:**

لم يلتزم الفرنسيون بما اشترطه عليهم الأمير، وبدلا من توجه الباخرة التي كانت تحمله ومرافقيه إلى الإسكندرية أو عكا، فقد رست بهم في قصر مهجور في أمبواز في أواخر 1848. لذلك أبدى خيبة أمله في الخديعة التي تعرض لها، واكتشف الوجه الآخر لدعاة الحضارة المادية من الفرنسيين المزيفين. لذلك رفض الخضوع لإغراءات المارشال بيجو، ولقصر "تريانون" الذي جُهز له للإقامة به، ولحياة الجاه والسلطان التي تليق به كأمير. ولم يستسلم لليأس، بل تفرغ للعبادة والبحث والمطالعة والتدريس، واستقبال وتبادل الرسائل مع العلماء وكبار الفقهاء ورجال السياسة والعسكريين. ولإنقاذ شرف فرنسا، قرر نابليون الثالث إطلاق سراح الأمير الذي دعا إلى ضرورة الأخذ بأسباب الحضارة الغربية لتجديد وإحياء الأمة الإسلامية الراكدة والفكر الإسلامي الجامد. وفي 13 ديسمبر 1852، غادر فرنسا قاصدا بروسة التي وصل إليها يوم 17 جانفي 1853 م واستقر في بيت منحته إليه السلطات العثمانية.

**الكلمات الدالة:**

الأمير عبد القادر; معتقل أمبواز; نابليون الثالث; حقوق الإنسان

**Abstract:**

The French did not abide by what the prince stipulated them, and instead of heading the ship carrying him and his companions to Alexandria or Acre, it docked with them in an abandoned palace in Amboise in late 1848. Therefore, he expressed his disappointment in the deceit to which he was subjected, and discovered the other

(*) المؤلف المرسل: **غربي محمد** gherbi2@hotmail.fr

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

side of the advocates of material civilization from the fake French, so he refused to submit to the temptations of Marshal Peugeot, And the palace of "Trianon" that was equipped for him to reside in, and for the life of prestige and power that befits him as a prince. And he did not give in to despair, but devoted himself to worship, research, reading and teaching, and receiving and exchanging messages with scholars, senior jurists, politicians and the military. And In order to save France's honor, Napoleon III decided to release the prince who called for the necessity of adopting the causes of Western civilization to renew and revive the stagnant Islamic nation and rigid Islamic thought. And On December 13, 1852, he left France for Bruce, which he arrived on January 17, 1853 and settled in a house granted to him by the Ottoman authorities

**Key Words:**
Émir Abdelkader; Prison Amboise; Napoléon III; Mysticism; Human Rights

**********

**مقدمـة:**

لم يَفِ الفرنسيون بعهدهم مع الأمير عبد القادر ومرافقيه من الشيوخ والنساء والأطفال، فنقلته السفينة التي كانت متجهة إلى عكا نحو فرنسا حيث بقي قرابة ثلاث سنوات بتولون وسبع أشهر ببو عند الحدود الفرنسية الاسبانية وأربع سنوات بقصر أمبواز إلى غاية 1852[1]، حيث أصبح مشكلة أخلاقية كبرى للدولة الفرنسية، التي واجهت الإحراج الكبير من زوار الأمير عبد القادر في سجنه، وكانوا من كبار المفكرين والسياسيين ورجال الدين المسيحيين والنبلاء.

**الأمير عبد القادر بين الغربة القسرية وانتهاك حقوق الإنسان**

غطت الصحافة الفرنسية خبر وصول الأمير إلى أمبواز يوم 08 نوفمبر 1848، حيث جاء في صحيفة "Le Progrès" الصادرة بتاريخ 10 نوفمبر ما يلي: "وصل عبد القادر إلى أمبواز على الساعة 23:30، أين حضر العديد من السكان، وقد أُنزل العرب قرب جسر رصيف الميناء. وكعادتهم في الجلوس، جلسوا على شكل دائرة. إلى أن حملتهم العربات المُنتظِرة على الرصيف إلى القصر رغم الوقت المتأخر من الليل"[2].

بعد قضاء الأمير شهرا بقصر أمبواز، تم الإعلان عن فوز ساحق لِـ لويس نابليون بونابرت في الانتخابات على كافينياك. فتم الإعلان عن رئيس واحد للجمهورية الثانية، ودستور جديد، وجمعية تشريعية جديدة متكونة من هيئة تشريعية واحدة[3]، وحكومة جديدة ترأسها أوديلون

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

بارو (Odilon Barrot) والجنرال روليار (Rulliere) خلفا لـ لاموريسيير على وزارة الحربية[4]. وفي 14 جانفي 1849 عقدت جلسة في الإليزيه لإعادة النظر في سجن الأمير عبد القادر. حضرها كل من إيميل أوليفييه والرئيس لويس نابوليون، والمارشال بيجو والمارشال شانغارنييه الذين أبدوا تعاطفهم مع إطلاق سراح الأمير عبد القادر (رغم خبراتهم العالية لم يتمكنوا من تغيير وضعية الأمير بسبب رضوخهم لسياسة الدولة، ونواب البرلمان)، إلا أن وزير الحربية Rulliere ألقى خطابا رفض فيه تحمل مسؤولية إطلاق سراح الأمير مُبْدِيًا تخوفه من عودته إلى الجزائر التي انخفض بها عدد الجنود الفرنسيين إلى نحو 30.000 جندي. وقد وجد تأييدا شديدا من طرف بعض النواب الذين رأوا في الأمير "أسير حرب"، يمثّل تهديدا لفرنسا، ومسؤولا عن مجزرة الأسرى في معتقله[5]. وفي مرافقيه "قراصنة ليس لهم الحق في التذمر من كرم ضيافة فرنسا لهم.

أبدى الأمير خيبة أمله في الخديعة التي تعرض لها، وأبرق برسالتين إلى دوبوش (DUPUCH)، طلب منه في الأولى المؤرخة في 09 جانفي أن يزوره[6]، وكتب له في الثانية يوم 19 من نفس الشهر قائلا: "الحمد لله وحده، من الذين يعانون آلام الهجر والوحدة...وحده يعرف الحزن العميق الذي في القلوب والحرمان الكبير والحاجة...كان من المفترض أن نجد في كل ما قيل لنا منذ حبسنا، العدل والصراحة ولكن هيهات....لقد سلمت أمري لله ولم يعد شيء يعنيني من الحياة سوى تلك الرغبة التي تنتاب المنفي المنكسر، الخلاص أخيرا من عزلته والسماح له باختيار موته على الأرض التي يشتهي أن ينطفئ على تربتها"[7]. وبهذا وضع الفرنسيون قيم الثورة الفرنسية المتمثلة في حقوق الانسان والحريات الاساسية التي كانوا يتبجحون بها وراء ظهورهم، متناسين أن "دوبوش" كان قد راسل الأمير في الجزائر بشأن إطلاق سراح أحد الأسرى رفقة زوجته وابنته. فردّ عليه الأمير عبد القادر ودون انتظار برسالة يقول له فيها: "كان عليك أن تطلب إطلاق سراح الأسرى المسيحيين المتواجدين عندي وعددهم 200-300 وليس أسيرا واحدا ما دمت تتحدّث باسم الربّ[8].

تفاجأ الأمير بإلغاء الجنرال بيجو للزيارة التي كانت مبرمجة له بتاريخ 29 جانفي، واكتفى . بيجو . بإرسال برقية حاول من خلالها التلاعب بعواطف الأمير، واستغلال الظروف الصعبة التي يمر بها، والتأثير عليه لقبول المواطنة الفرنسية والتخلص من الأماني الكاذبة التي ستجعله أكثر بؤسا، حيث قال: "أرى من واجبي أن أحدثك بصراحة الصديق الحقيقي، سيمر وقت

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

طويل قبل أن يُسمح لك بالذهاب إلى مدينة النبي... أتمنى أن تصل إلى قرار تَبَنِّي فرنسا كوطن لك، وتطلب من الحكومة أن تمنحك وعائلتك قطعة أرض تكون ملكك قانونا ولأبنائك من بعدك. كما يمكنك ممارسة شعائرك الدينية بكل حرية، وتصبح لك حياة مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم...فَكِّرْ في مصلحة أطفالك الذين يموتون من الخمول، فقبولك لهذا العرض سيمنحهم الصحة الجيدة باستنشاق الهواء الطلق، وممارسة الزراعة، وستنشط الطبيعة معنوياتهم"[9]. وهكذا اكتشف الأمير في أسره ومنفاه الوجه الآخر لدعاة الحضارة المادية من الفرنسيين الذين يختلفون عن الذين تعامل معهم أثناء مقاومته للاستعمار بالجزائر. لذلك رفض الخضوع لإغراءات المارشال بيجو، ولقصر "تريانون" الذي جُهز له للإقامة به، ولحياة الجاه والسلطان التي تليق به كأمير، وللأثاث الفاخر الذي زينت به غرفته، المتمثل في أريكة من لوح أكاجو الراقي، وسريرين، ووسادة فاخرة وبطانيتين إحداهما من القطن وأخرى من الصوف وسبع أرائك وستة كراسي. ولمبلغ 2000 فرنك فرنسي الذي بعث به وزير الحربية الجديد أوتبول (Houtpoul) ومساعده دوماس لاقتناء الحاجات الشخصية للأمير وعائلته[10]، ولحرية الاحتفال بالأعياد الدينية، والنداء للصلاة، واقتناء الدقيق والفاكهة المجففة، والشاي والقهوة ولحم الخروف من تجار مدينة أمبواز لصناعة الكسكسي الذي كانت تطبخه النساء في القصر باعتباره أكلة شعبية تمثل الغذاء الأساسي للجزائريين[11].

تجاوز الأمير صور الخداع والمكر والمكث بالعهود الذي تواجهه به السلطة الفرنسية الحاكمة، وعبر عن هذه اللحظات الأليمة بقوله: "انكسرت نفسي وضاقت علي الأرجاء وفقدت قلبي، وإذا المعرفة نكرة والأنس وحشة والمطايبة مشاغبة والمسامرة مناكرة، فكان نهاري ليلا وليلي ويحا وويلا... وأي قرابة أردتها أُبْعِدْتُ بها، فلم يبق معي من أنواع الصِّلات إلا الصلاة، فكان هذا الابتلاء"[12]. لَكِنَّهُ رَدُّ الأمير على الجنرال بيجو بكل قوة وطمأنينة، وبموقف ثابت وشامخ. يُظهر قوة المتصوف في تحويل المحنة إلى منحة والصبر والشوق إلى فرج وتخلصٍ من الأسر: "إني لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج، وها أنا بين أيديكم فافعلوا ما بدا لكم ولا يمكن أن أترك طلب الوفاء بالعهد ما دمت حياً...ومن عجيب ما يُسمع أنني كنت أرى نفسي ضيفكم فجعلتموني أسيركم وأخذتم تعددون علي أمورا قمت بواجبها حبا عن ديني وحماية لبلادي ولا زال التفاخر بها وبأمثالها قديما وحديثا"[13].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

لم تيأس فرنسا في الكيد للأمير بمزيد من الاغراءات لترويضه، لأنه ظل وهو في معتقله . يستحق التقدير من التّاريخ كعادته عندما كان مجاهدا في الجزائر. يتحكّم في قراره، هادئا، معتدلا، بسيطا، رصينا، جذابا، متواضعا، بارا بوالدته، مؤمنا بما كُتب له فلا يشكو أبدا لإيمانه بأنه صاحب حق، حاد الطبع، لا يخاف أحدا وكلامه مرآة روحه من العدل والصدق والإخلاص والأمانة، متقشفا ولا يهتم بأمور الدنيا، ولا يحب أن يذكر أحدٌ أعْداءَهُ في حضرته بسوء، سواء كانوا من المسلمين أومن المسيحيين الذين يجدون منه الصفح. يسمو إلى أعلى الدرجات ولا يوجد أي تناقض في حياته العسكرية والسياسية والدينية والفكرية. لأن شخصيته المتميزة جمعت بين مطالب التصوف والدين ومطالب السياسة والحرب في إطار الخصائص الذاتية المرتبطة بانتمائه الحضاري، والخصائص الإنسانية للحوار والتسامح والعيش المشترك، والتعايش بين الحضارات والديانات[14].

تواصلت الضغوط الفرنسية، وهذه المرة بمحاولة إقناعه بالتوجه نحو باريس. عاصمة النور والحرية، أسوة بإبراهيم باشا خديوي، لكن الأمير ظل حذرا في تعامله مع الفرنسيين خاصة نابليون الثالث، رافضا أن تُستغل صداقتهما لِأَنْسَنَةِ المستعمِرِ الفرنسي، والترويج لسماحته عند الجزائريين. فالجزائر كانت لا تزال تقبع تحت الاحتلال ويتعرض أهلها إلى كل أنواع الاستبداد والاستعباد باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية. كما ظل متمسكا بمطلب نفيه إلى وجهة مشرقية (عكا أو الإسكندرية)، فجاء رده أشد قوة وإباء وكرامة حين قال: "إن إبراهيم باشا يرى في باريس وغيرها من أمصار فرنسا متنزها فيها يمرح فيها كما يشاء، وأما أنا فلا أرى فرنسا إلا سجنا ولمن معي، فلا فرق عندي بين طولون وباريس"[15].

ازدادت محنة الأمير عبد القادر بسبب ارتفاع عدد الوفيات في صفوف عائلته ومرافقيه خاصة في سنة 1852، حيث قضى منهم 25 شخصا. أبرزهم زوجته الصغرى "مباركة"، وشقيقته "خديجة"، وطفليْه، وزوجة وأبناء شقيقه محمد السعيد بسبب الظروف الصحية المتدهورة في دهاليز سجن أمبواز المظلمة، وانعدام شروط النظافة، ووجود حمام واحد[16]، وضآلة الميزانية التي لم تتجاوز 1،30 فرنك للشخص الواحد[17]، والبرودة القاسية، والرطوبة الكبيرة التي لم يعتد عليهما المعتقلون، وقلة المواد الغذائية، وانتشار الأمراض المتلاحقة التي عصفت بالعائلة كالاختناقات البطيئة والالتهابات الرئوية والكوليرا والسل والروماتيزم ومرض الكساح عند الأطفال[18] رغم أن الأمير سبق له وأن سمح بتطعيم الأطفال في معتقل "فور

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

لامارق" (Fort La Malgue) تحسبا لمزيد من الوفيات بين المعتقلين[19]. وفي إحدى زيارات القس ديبوش للأمير، وصف لنا الحالة الصعبة والمثيرة للقلق التي وجده عليها، إذ يقول: "وجدته يحمل كتابا بين يديه، ازدادت حساسية مع الوقت، ولم يعد في استطاعته تحمل البرودة ولا ثقل الجو"[20].

إن ما يحتفظ به التاريخ والشهادات التي أدلى بها معاصروه، أن هذا الرجل العظيم و"أسير الحرب" الذي لم يعد للساسة والعسكريين الفرنسيين أدنى التزام وواجب اتجاهه، قد آمن بوجود قواعد وأسس راسخة في الحرب ليس لها مثيل في تاريخ الحروب. تمثلت في الإشراف على راحة وسلامة الأسرى الذين حاربوه في الجزائر. فلم يكن يسمح بتحقيرهم أو سبهم[21]. وإذا كانت المادة (15) من معاهدة جنيف الثانية تلزم الدول الحاجزة للأسرى أن تتكفل دون مقابل بتطبيبهم، فإن الأمير كان يسهر شخصيا على معالجة الجرحى والمرضى منهم. يصلي معهم، ويعطيهم الدراهم واللّباس والكتب، وكلّ ما يطلبونه وما يخفّف عنهم وطأة الأسر. يعاملهم كضيوف، فيأكلون نفس أكله وهو أحوج النّاس لذلك الطعام من شدّة الحصار الذي فرضه عليه الفرنسيون. ويعاملهم، وكأنه ليس أميرَ المؤمنين بل خادمَ الإنسانية، ومؤسسا لثقافة حقوق الإنسان والتسامح والتعايش السلمي في زمن الحرب. ولعل هذا ما يتوافق مع ما تضمنته المادة (15) من اتفاقية جنيف الثالثة، المؤرخة في 12 أوت 1949 لحماية ضحايا الحروب[22]. التي جاءت أكثر من قرن من الزمن، لتؤكد على أن يعامل من أُبعد عن الحرب بسبب المرض أو الجروح أو الأسر، معاملة إنسانية مهما اختلف لون بشرته أو ثقافته أو ديانته وحضارته.

بعد أن أطاح الملك نابليون بالجمهورية الثانية بقوة السلاح في شهر ديسمبر 1851، وألغى المجلس التأسيسي ومجلس الدولة وتخلص من خصومه الجمهوريين والملكيين إما بالقتل أو بالسجن أو بالتهجير نحو الجزائر. وأجرى استفتاء في 21 نوفمبر 1852، لتبدأ مرحلة الجمهورية الثالثة _ الإمبراطورية الثانية (1853_1870) _ تَحَوَّلَ بموجبها نابليون من شارل لويس نابليون رئيسا للجمهورية إلى الإمبراطور نابليون الثالث[23]. وفي هذا الصدد تضاربت الكتابات التاريخية بين من تذكر بأن الأمير أبرق برسالة يوم 20 نوفمبر 1852 إلى والي لاند إيلوار (L' INDE ET LOIRE) يطلب فيها السماح له بالمشاركة في الانتخابات، وبين من ذهب إلى أن الأمير انتخب لصالح نابليون تعبيرا وامتنانا للعلاقات الحسنة التي تجمع بينهما بعدما

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

منحته الحكومة و14 فردا من رفاقه هذا الشرف إكراما لموتاهم وأطفالهم الذين ولدوا ودفنوا في الأراضي الفرنسية. في حين تذكر مصادر أخرى بأن الأمير تمنى لنابليون الفوز في الانتخابات، وهي الأمنية التي رأى فيها هؤلاء على أنها انتخاب رمزي[24].

أراد نابليون اختبار رد فعل الرأي العام الفرنسي، والمعارضين السياسيين والعسكريين؛ وتمهيدا لإطلاق سراح الأمير عبد القادر، قام بإطلاق 19 فردا من مرافقيه، والسماح لهم بالتوجه نحو الجزائر[25]. واقترح بواسوني على الأمير الخروج من عزلته بالمعتقل ليبدي حسن نواياه تُجَاهَ سكان أمبواز الحريصين على إطلاق سراحه، والذين أبدوا له احتراما كبيرا إلى درجة اعتباره قديسا. لِما كان يصلهم من خلف أسوار سجنه من أخبار عن زهده وعلمه وسعة فكره، وشخصيته الإنسانية، وفكره الخلاّق. فاستجاب الأمير لنصيحة القس وقام بزيارة قصر شونونسو (Chenonceau)، ومحطة القطارات ليميراي (Limeray)[26].

**الإنتاج الأدبي للأمير بمعتقل أمبواز**

سلم الأمير عبدالقادر أمره لقضاء الله، ولم يجد سلوى له يشغل بها نفسه من اليأس والفراغ الرهيب، إلا التفرغ للعبادة والبحث والمطالعة والخطابة والتدريس والتأمل والإفاضة والبيان في قضايا العقل والأخلاق واللغة والتصوف. فقرأ على أصحابه رسالة الإمام "ابن أبي زيد القيرواني" و"صحيح البخاري" وكتاب "الشفاء" للإمام عياض[27]، وترك لنا في سجنه بأمبواز بعض المصنفات لعل أهمها: **"المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد"**. أدان فيه الكُتَّاب والقساوسة الفرنسيين الذين هاجموا دين الإسلام، ورد على الانتقادات الموجهة له. فأشاد بشرف النظر العقلي في الإسلام، وإثبات الألوهية وبيان الطريق إلى معرفة الله تعالى، والحديث عن الأخلاق لدى المسلمين بما فيها الوفاء للعهود وصدق الوعد والعدل والتقيد بمكارم الأخلاق واحترام إنسانية الإنسان. وأن الجهاد لم يُسنَّ في الاسلام للسيطرة والقتل، وإنما لهدف أسمى يتمثل في مساعدة المضطهدين والمظلومين[28].

. **"ذكرى الغافل وتنبيه العاقل"**: اختلفت الآراء حول هذا العمل، بين من يرجع تأليفه في أمبواز[29]، وبين من يقول بكتابته في بروسة (تركيا)، وبين رأي ثالث يذهب إلى أن كتابته بدأت في أمبواز وانتهى تأليفه في بروسة. والكتاب عبارة عن رسالة فكرية فلسفية، تحمل في ثناياها مواضيع متنوعة في الدين والسياسة والعلم والاقتصاد والتاريخ، والتمييز بين العلوم العقلية والعلوم الشرعية (الحكمة والشريعة) دون وجود تناقض بينهما. يحث فيها الأمير على البحث

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

والتفكير وتجاوز التقليد. وأن أصل الديانات عنده واحد لقوله: "أساس الديانة وأصولها لا خلاف فيها بين الأنبياء"[30].

. **مذكرات الأمير عبد القادر:** هي عمل فني وشهادة صادقة "مكتوبة بأيدي شهود عيان عاشوا الاحداث وصنعوها بأيديهم وأعطوها تفسيرها من داخل الواقع الذي التحم بأنفسهم أيما التحام"[31]. وقد جمعت هذه السيرة الذاتية بين التحرير والإملاء الشخصي للأمير، مع الانشاء الجماعي الذي تم إنجازه تحت إشراف الفقيه السيد مصطفى بن التهامي صهر الأمير وخليفته وصديقه المقرب والمحبب إليه. ولعل الدافع وراء كتابتها هو نزول الأمير عند رغبة بعض زائريه من المثقفين والقساوسة والمستشرقين طمعا في معرفة مواقفه اتجاه نظم الحكم والحرية والأديان والإنسان والفلسفة والمرأة[32]. ولعل الحكمة - في نظرنا- من وراء إنجاز هذه السيرة، تكمن في محاولة الأمير إثبات الرسالة المحمدية بدون تزمت أو تطرف، والدفاع عن الحضارة العربية الإسلامية بفكر منفتح، وذكر نسبه وسيرته وشيوخه ورحلاته وسياحته العلمية والدينية، وأشهر العلماء الذين لقيهم، والحوادث والمنازلات التي جرت بينه وبين أعدائه الفرنسيين، دون أن ينسى التطرق إلى عدالة قضيته المتمثلة في تنفيذ الاتفاقية التي أبرمها مع السلطات الفرنسية لنقله إلى المشرق.

**الشعرية عند الأمير عبد القادر الجزائري:**

ارتبطت كل مرحلة من شعر الأمير من الناحية التاريخية بفن معين من الفنون الشعرية، فشعر الفخر والحماسة يعبر عن تجربته الحربية، وهو انعكاس مباشر لمعاناته في حروبه بالجزائر. والشعر الصوفي ومساجلاته مع شيخه محمد الشاذلي القسنطيني، هو الأقرب للأمير أثناء أسره بأمبواز. أما شعر المدح الأدبي، فقد كان الأكثر صلة به أثناء وجوده بدمشق[33]. وفي غزله نجده عاشقاً بدوياً، إذا غاب عن زوجته أم البنين شكا، وإذا ذكرها تحسر، وإذا جن الليل وهي بعيدة عنه صاح من أعماقه بشعر عليه لفحات الحب وظلال اللوعة والحرقة. يقول في قصدية أهداها إلى زوجته[34]:

أَقُولُ لِمَحْبُوبٍ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِي  لَيْلًا بأوجاع الفراق والبُعْدِ
أَمَا أَنْتَ حَقًّا لَوْ رَأَيْتَ صبابتِي  لَهَانَ عليْكَ الأَمْرُ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ
وقُلتُ أَرَى المِسكينَ عَذَّبَهُ النَّوَى  وَأَنْحَلَهُ حَقًّا إلى مُنْتَهَى الحَدِّ
وَسَاءَكَ ما قَدْ نِلْتَ مِنْ شِدَّةِ الجَوَى  فَقُلتُ وَمَا لِلشَّوْقِ يَرْمِيكَ بِالجِدِّ

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وَإِنّـي وَحَـقِ اللهِ دائـمُ لوعــةٍ وَنَارُ الجَوَى بيْنَ الجَوَانِحِ فِي وَقْـدِ

**. الرسائـل:**

يمكننا تسميتها بالرسائل السياسية، ويدخل في عدادها كل الرسائل التي تبادلها الأمير في سجنه مع العلماء وكبار الفقهاء ورجال السياسة والعسكريين أمثال ديبوش والجنرال بيجو، ورجال الدين الفرنسيين منهم أسقف باريس يشكره على خدمة الراهبات له ولأسرته أثناء وجودهم في السجن، والراهبتين الكاثوليكيتين "ناتالي" و"سان موريس" اللتين تعاطفتا مع قضيته، وأشرفتا على تطبيب النساء والأطفال المرضى خلال مرحلة الاعتقال[35]. وتتسم هذه الرسائل بالخبرة السياسية، وبُعد النظر في الشؤون الحربية، والشدة والصراحة والواقعية دون العناية الكبيرة بالصياغة.

**. مساجلات الأمير مع الشيخ محمد الشاذلي:**

التحق محمد الشاذلي بقصر أمبواز في أكتوبر 1849، فتوطدت العلاقة بين الرجلين وتعددت بينهما الزيارات والمساجلات الشعرية[36]. وقد تضاربت المصادر حول ماهية اختيار محمد الشاذلي[37] ليكون مرافقا يؤنس الأمير في حزنه وقلقه ووحدته في منفاه، بين: من أنه من خيرة العلماء الأكفاء (فهو شاعر وأديب ومثقف) ليكون موضع رضى الأمير عبد القادر، وأنه (الشاذلي) لطالما كان متذمرا من وجوده في قسنطينة، وكانت تطوله الرغبة في الهجرة إلى المشرق، أو العودة إلى فرنسا والعيش فيها. ومن أن السلطات الفرنسية المتمثلة في المكتب العربي في قسنطينة كانت تطمئن إليه لاقتناعه بما للحضارة الفرنسية ونظمها السياسية والاجتماعية من فائدة[38]، ومن أنها كانت مهمة سياسية وليست إنسانية، تمثلت في إقناع الأمير بأنه لم يكن سوى ضحية للمشاكل السياسية الداخلية في فرنسا،[39].

جادت نفس الأمير الجريحة بكثير من قصائد الشكوى والحنين للأهل، منها قصيدة عاجل بها شيخه العلامة "محمد الشاذلي القسنطيني." العارف بالله، صاحب العلم والزهد والتقوى، وأحد أقطاب الصوفية المشهورين[40]، الذي كان الأمير يسائل الركاب رغبة وشوقا إلى لقائه[41]:

أهلاً وسهلاً بالحبيبِ القادمِ هذا النّهار لَدَيَّ خير مَوَاسم
جاء السرورُ مصاحبا لقدومه وانزاحَ ما قد كانَ قَبْلُ مُلازِمِي
أَفْديكَ بالنَّفسِ النفيسة زائراً مِنْ غَيْرِ مَا مَنٍّ ولَسْتُ بنادم
طالتْ مساءلتي الركاب تشوقًا لجمال رؤية وجهك المتعاظم

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

تواصلت اللقاءات التي فتحت بابا في الشعر يمكننا تسميته "شعر الموائد"، "ساعدت عليه أريحية الفروسية ووجود الصوفية والقيام بحق التسلية وقطع الفراغ الرهيب الذي كان يعيشه الأمير في منفاه"[42]. ويظهر لنا جليا أنه . الأمير . تلقى عليه مبادئ الطريقة الشاذلية وأصولها[43]. فأصبح محمد الشاذلي الأنيس الصالح، والجليس الصالح للأمير، يُنَفِّسُ من همومه بلطائفه، وطرائفه، ما لا تنفسها الصبا. فأصبح فريدَ عصره، وقرة العين، وقطب العارفين. يقول الأمير عبد القادر: "لازمني أيام نفور الحميم والقريب، وآنسني حين لا أنيس من الجنس أو غريب، وتجشم مشقة دونها أكبر مشقة في مكان لا يقتحمه الأسد السهور، بل تنقطع دونه أجنحة النسور، وكنا قبل وروده علينا نناغي الحائم، ونسامر الفَرْقَدَيْنِ[44] والحمائم، وإن كانت الحمائم إذا صدحت لا تفهمنا وتجيبنا بالشدى فتدننا"[45].

بعد ما استقر الوضع لنابليون الثالث، دُعي الأمير إلى باريس في 28 أكتوبر 1852، أين أقيم له استقبال رسمي حار، واستعراضات ضخمة وألعاب الفروسية اعترافا بمواقفه التي كان يقول عنها إنها كانت في خدمة دينه ووطنه[46]. فشاهد التمثيل والغناء، وزار الأوبرا مع نابليون، وكنيستي "المادلين" و"نوتردام، ومتحف "الأنفليد" وقصر "سان كلو"، والمكتبة الوطنية، وضريح نابليون الأول، وأبدى إعجابه بالمآدب والمعالم الحضارية الفرنسية وبمعمل المدفعية (بطاريات الحرب) وما ينتجه من أسلحة غير معروفة له. وعندما زار المطبعة الرسمية (بطاريات الفكر)، وطُبع أمامه التعهد الذي كتبه لنابليون الثالث بعدم حمل السلاح ثانية ضد فرنسا. أبدى تقديره لدور الفكر والإعلام في تثبيت الحكم أو تقويضه حيث قال: "بالأمس رأيت اصطناع المدفع الذي تهدم به الحصون والقلاع، واليوم رأيت الحروف التي تقلب بها أسرة الملك وتخرب دولهم وهم لا يشعرون"[47].

**الإحـــالات:**

[1]. محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 2، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1903، ص 212

[2]. Louis Jean Sureau. Alexis Feulvarc'h. L'Emir Abdelkader a Amboise 1848-1852. F.S.L. France. 2002. P:14

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[3] Amédée Boudin. Histoire de Napoléon III empereur des Français continuée jusqu'à Sa mort. L.V.C. Paris. 1858. PP: 7-9

[4] B. Renault. L'histoire du gouvernement de Louis Napoléon et rétablissement de l'empire Français. E.R.R. Paris. 1852. PP: 44 - 51

[5] Adrien Jean Quetin Peuchot. Bibliographie. E.C.L. Paris. PP: 13- 45

[6] واسيني لعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، الفضاء الحر، الجزائر، 2004، ص 401

[7] نفسه، ص ص 402، 403

[8] Henri Teissier. L émir Abdelkader et Les Chrétiens. أعمال ملتقى الأمير عبد القادر1998، ص 175

[9] F. Laurent. Voyage de Louis Napoléon dans les départements du centre et de midi emperor of the French Napoléon. S.A. Paris. 1852. PP: 490 491

[10] Eugene Collin et comte de Civery. Napoléon III et Abdelkader : charlemagne et Witikind. Etude historique et politique. Biographie de l'émir contenant un grand nombre de lettres et documents inédit. E.P.M. Paris. 1853. PP: 434 - 437.

[11] Félix Morad. La Vie Arabe. L.F. Paris. 1856. PP 310 _ 313.

[12] الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2004، ص. 378

[13] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر....، ص. 542. أنظر أيضا: Les annales d'hygiène publique et de médecine légale. E.P.B. Paris. PP: 52 53

[14] الأمير عبد القادر محطّات متميزة في رؤية الآخر: **عبد الوهاب** بلغراس، أنظر.
https://doi.org/10.4000/insaniyat.18050

[15] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، 2000، ص 49

[16] Louis Jean Sureau. Aexis Feul Varch. Op. Cit. PP 379 - 380.

[17] Prosper de Pietra Santa. Climat d'Alger dans les affections chroniques de la poitrine. M.I.L. Paris. 1856. PP: 109 - 110

[19] Horace de Viel Castel. Mémoire du compte Horace de Viel Castel. E.F.F. Paris. 1864. PP: 89 - 90

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[20] John Kiser. Commander of the faithful. PC U.S.A. 2008. PP 59- 60 .

[21] إن الفرنسيين "الذين اهتموا بالأمير ولا سيما بعد 1849، والذين يملكون عنه أكثر من غيرهم وثائق أساسية عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره لم يكتبوا عنه إلا أشياء ترمي في الغالب إلى إثبات تفوقهم وإثبات صداقة الأمير للفرنسيين بعد حربه لهم." ينظر: حياة الأمير عبد القادر، شارل هنري تشرشل، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.2، الجزائر، 1982، ص 7. وأيضا: Abd-el-Kader au château d'Amboise dédié à M. Louis Napoléon Bonaparte. (3e édition). HACHETTE BNF. 1849. (Internet Source)

[22] . عبد العزيز قادري، حقوق الإنسان في الدولي والعلاقات الدولية . المحتويات والآليات ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر

[23] **مسعود ديلمي**، الأمير عبد القادر والإمبراطور نابليون الثالث في تقاطع التاريخ، **المجلة الثقافية الجزائرية، 01 سبتمبر 2010**

[24] Zoumoroff Philippe. Op. P: 434 .

[25] Alfred Gabeau. L'émire Abdelkader à Amboise. Bulletin de la société archéologique de Touraine. . 1898. P: 356

[26] Louis Jean Sureau. Op. Cit. PP: 22 - 23 .

[27] . محمد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، مكتبة الملك فيصل الاسلامية، 1984، ص 53

[28] . أنظر: المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، مصدر سابق.

[29] . أنظر: جون كيزر، وواسيني الأعرج

[30] . أنظر: رسالة ذكرى الغافل وتنبيه العاقل

[31] . الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، مصدر سابق، ص 10.

[32] . المصدر نفسه، ص 5.

[33] . محمد سيف الإسلام بوفلاقة، التجربة الشعرية عند الأمير عبد القادر الجزائري -أضواء وملاحظات.

[34] . عبد القادر الجزائري، الديوان، نشر وتحقيق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1964.

[35] John Kiser. Op. Cit. P: 68 .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[36] Henri Peres. La vie d'étude et de médiation d'Abdelkader au château d'Amboise 1848 _ 1852 La littérature arabe et L'Islam par les textes du XIX siècle. C .R. Paris. 1955.P: 338

[37] ترك محمد الشاذلي بصماته في تاريخ العلاقات الفرنسية الجزائرية، إذ تولى مناصب عديدة منها وظيفة القضاء المالكي بمدينة قسنطينة عام 1840 في المكتب العربي تحت رئاسة الضابط الفرنسي بواسوني، ومديرا للمدرسة العربية الفرنسية مدة 27 سنة في قسنطينة، سيرتا العدد 4، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1981، ص 71

[38] . اعميراوي احميدة، من مرسلات الأمير عبد القادر إلى بواسوني، جامعة الأمير عبد القادر، ص 165

[39] . أبو القاسم سعد الله، محمد الشاذلي القسنطيني، 1807 -1877، دراسة من خلال رسائله وشعره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص52

[40] . عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص ص 192. 197.

[41] . محمد الصالح رمضان، محمد الأخضر السائحي، نزهة الخاطر في قريض عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1999، ص 75

[42] . محمد السيد الوزير، مرجع سابق، ص 180

[43] . عبد القادر الجزائري، الديوان، مصدر سابق، ص 110

[44] . الشمس والقمر

[45] . محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص 241

[46] . أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط 2، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص 132

[47] . محمد بن عبد الأمير عبد القادر، تحفة الزائر...، مصدر سابق